

الوسائل السياسية بين الإستراتيجية والدبلوماسية

د. لطيف كريم محمد العبيدي
كلية القانون/قسم العلوم السياسية

المقدمة:

ان لهذا الموضوع اهمية استثنائية لجميع العاملين في حقول السياسة المختلفة بشكل عام، و لصناع القرار، و العاملين في حقل السياسة الخارجية و الدبلوماسيين على وجه الدقة. كما تتجاوز اهميته للعاملين في قيادة الجيوش ، و بالتحديد الذين يساهمون في وضع و تنفيذ الاستراتيجيات الشاملة والفرعية.

هذا يعني ان اهمية الموضوع تشمل كل القوى الفاعلة في إي مجتمع من المجتمعات السياسية سواء المخططين للإستراتيجية الشاملة ام الاستراتيجية الفرعية. كما ان هذا الموضوع يحاول حل اشكالية التداخل في مفهوم الإستراتيجية أو تجاهلها في النظم السياسية في العالم الثالث على وجه الخصوص، و هي مسألة تجاهل علم السياسة و دوره في الاستراتيجية اولا: و محاولة اعطاء الاستراتيجية دور اكبر بالنسبة لعلم السياسة ثانياً: بينما العكس هو الصحيح، و تعطيل الدبلوماسية كعلم و فن عن الالتقاء مع الاستراتيجية ثالثاً. و لقد استخدمنا المنهج التحليلي بالإضافة إلى المنهج الفلسفي في هذا البحث، الذي تضمن الهيكلية الآتية:

المبحث الاول: وسائل السياسة وأهدافها والعلاقة بينهما وبين الإستراتيجية. و المبحث الثاني: الإستراتيجية والعلاقات الدولية والسياسة الخارجية. و المبحث الثالث: الإستراتيجية وعلم الجيوبولتيك والجغرافية ألسياسة و قد انتهى البحث بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات ومن ثم قائمة الهوامش والمصادر.

المبحث الاول

وسائل السياسة وأهدافها وعلاقتها بالإستراتيجية

منذ أقدم العصور ونحن نردد مع الفيلسوف أرسطو بأن (الانسان حيوان اجتماعي وسياسي)، وهذا يعني إن السياسة خاصة الانسان الرئيسية وأبرز عمل فعاليته، فهو عاجز بطبعه عن ان يكون بمنأى عن السياسة ضمن اطوار حياته، لأنها تؤلف تجربة انسانية عريقة تتصف بالشمول وقد سلك الإنسان القديم تجاربها وتوارثها عبر الأجيال وهو يتساءل عن معنى السياسة، وعن طريقة التمييز بينها وبين النواحي الأخرى للحياة الانسانية.

ورغم اختلاف وتعدد الآراء التي تعرف السياسة او علم السياسة بين ان تكون كما وردت في الانسكلوبيديا بأنها (علم حكم الدولة و المجتمع)^(١) أو هي (فن حكم المجتمعات الانسانية)^(٢)، إلا إن المفهوم المعاصر المستنتج من دراستنا لكافة المفاهيم القديمة والحديثة تبدو لنا السياسة بأنها (علم دراسة السلطة او القوة السياسية التي وجدت في الجماعات البشرية على اختلافها)^(٣).

إذا كان ما تقدم يعطي مفهوم السياسة، فما هي اهداف السياسة؟ وما هي آليات عملها؟ أو بالأحرى ما هي وسائلها؟

ان وسائل السياسة هي:-

- ١- الإستراتيجية.
- ٢- الدبلوماسية.
- ٣- السياسة الخارجية.
- ٤- العلاقات الدولية.

إضافة إلى الوسائل العسكرية والوسائل الاقتصادية والوسائل الإعلامية... الخ وسنأتي على توضيح كل واحدة من هذه المفاهيم السياسية وعلاقة السياسة بكل واحدة منها. ولكن ليس بالشكل التقليدي حيث أن كثيراً ما تتداخل هذه المفاهيم مع بعضها وعليه سوف يركز البحث على الموضوعين التي تم ذكرها في المقدمة آخذين بالمنهج التكاملية تلافياً للتكرار والإيفاء بالمنهج وهدف البحث.

السياسة والإستراتيجية:

من نافلة القول بأن السياسة تهتم بدراسة الافكار والممارسات في داخل الوحدة السياسية التي تعمل على تماسكها ودوامها الة تعرف بالسلطة السياسية. ان طبيعة السياسة تتحدد من خلال هدف السياسة، فكما ان السياسة هدفها تأمين الاستقرار داخل الوحدة السياسية (الدولة)، وتحقيق امن المجتمع السياسي في الداخل والخارج، ولما كان تحقيق الاستقرار والأمن الداخلي والخارجي يتطلبان عملاً قانونياً ومادياً يقوم على اساس الدمج المتوازن والمتداخل بين الإقناع (الرضا) والقوة (القدرة). ونقصد هنا بالدمج هو تحويل الطاعة الى واجب والقانون إلى حق من خلال السيادة التي تسمو على الجميع وبدون مؤثرات ونوازع شخصية أو فئوية.

ومن هنا تظهر طبيعة السياسة كونها طبيعية تقوم على الحزم والقوة، ولكي تكون هذه القوة شرعية، فلا بد ان تركز على قواعد قانونية ودستورية وذلك ما يعرف بالقانون أو سيادة القانون.

هدف السياسة إذاً هو:-

- أ- تحقيق المصلحة الوطنية للشعب ومصالحه الحيوية.
 - ب- تحقيق المصلحة الوطنية للشعب ومصالحه الحيوية.
 - ب- تحقيق الاستقرار في الداخل وحماية المبادئ والقيم التي يؤمن بها المجتمع، وهذا يطلق عليه السيادة الداخلية.
 - ج- تحقيق أمن المجتمع السياسي في الخارج.
- إن تأمين الاستقرار في الداخل وتحقيق الامن الخارجي هما مقومان اساسيان من مقومات وجود واستمرار المجتمع السياسي أو الدولة، وهما هدفان رئيسيان للإستراتيجية الناجحة، فما هي إذاً الإستراتيجية.

مفهوم الإستراتيجية:

الإستراتيجية هي فن القيادة العامة باجمعها، وقد اشتقت من كلمة (ستراتيجيوس) اليونانية بمعنى قائد^(١). والإستراتيجية في الأعمال الحربية هي الخطة العامة التي توضع لإحراز هدف. ويرى البعض أنها علم القيادة، على حين يرى آخرون أنها فن القيادة.

أما (كلوز وزفيتز) الألماني المشهور الذي يعدونه أبا للإستراتيجية التقليدية منذ وصفها بأنها فن إعداد المعارك، أو هي الخطة العامة لحملة عسكرية أو طريقة التنفيذ فيطلق عليه اسم (التكتيك)^(٢).

وعرفها الكولونيل ليدل هارت الذي يعدونه من اكبر خبراء الإستراتيجية من الانكليز المعاصرين، بأنها فن توزيع وتنظيم الوسائل العسكرية بغية تحقيق أهداف سياسية، ويوافقه هذا الرأي ريمون آرون الأستاذ بجامعة باريس إذ يرى الإستراتيجية هي فن استعمال القوى العسكرية بغية تحقيق أهداف تحددها السياسة.

أما الجنرال الفرنسي اندريه بوفر الذي وضع عدة مؤلفات في الإستراتيجية فانه على الرغم من كونه عسكرياً، يريد أن يخرج الإستراتيجية من نطاقها العسكري المحدود إلى تعريف واسع فانه يصفها بأنها: دياكتيكية الإرادات المتقابلة (المتصارعة) التي تستعمل القوة في فض النزاعات أو ما فض ما نشأ من الصراعات المسلحة وغير المسلحة في سبيل تحقيق هدف معين^(٣). فلو وقع نزاع على سبيل المثال لا الحصر بين هيئتين أو مجموعتين واستخدمت كل منهما القوة في فض هذا النزاع فكيفية استخدام هذه القوة هي الإستراتيجية. بمعنى آخر الإستراتيجية هي الكيفية التي يجري بها الصراع من اجل الاحتفاظ بحرية التصرف في المعركة، وحرمان العدو من هذه الحرية.

أهداف الإستراتيجية:

هدف الإستراتيجية هي تحقيق الأهداف التي ترسمها السياسة لذلك تعمل الإستراتيجية في السلم والحرب وعليه قيل السياسة من وراء الإستراتيجية^(١). أي أن السياسة هي المحرك والمخطط للإستراتيجية وتوجهها حيثما هناك خدمة لمصلحة الدولة والأمة أو المجتمع وقد تكون الإستراتيجية شاملة أو فرعية، والفرعية من اجل تحقيق النجاح للإستراتيجية الشاملة^(٢).

أن الهدف الذي تحدده السياسة وتنفعه الإستراتيجية متنوع:-

١. قد يكون هجومي مثل الاستيلاء على مناطق أو أقاليم.
 ٢. قد يكون دفاعي لصد هجومي إقليمي أو دولي.
 ٣. وقد يكون الهدف إرغام الدولة المقابلة أو العدو على التفاوض لإنهاء مشكلة معلقة.
- وقد يكون هدف الإستراتيجية ليس دائماً السعي لغرض الهزيمة العسكرية أو السياسية لدولة ما بل فرض إرادة الانتصار على تلك الدولة المعادية سواء كان هذا الانتصار عسكري أو اقتصادي أو نفسي، إذا الإستراتيجية في محصلتها النهائية تبحث عن النصر السياسي.
- إذن الإستراتيجية هي علم اختيار الخطط الواجب تطبيقها بغية إحراز الانتصار وغالباً ما تستطيع الدولة تحقيق ذلك بمجرد التهديد باستخدام القوة العسكرية أو التهديد بالتدخل

لإحداث انقلاب أو بالتهديد بفرض الحصار، إذن فالإستراتيجية هي فن اختيار أفضل الخطط لتحقيق الانتصار سواء كانت تلك الخطط عسكرية أو اقتصادية أو دبلوماسية. بناءً على ما تقدم فإن الإستراتيجية هي لخطة التي تضعها الدولة من قبل صنّاع القرار السياسي، وهذا يعني أن الإستراتيجية توضع من أعلى القيادات في الدولة، فهي إذاً من صلاحيات القيادات وليس القواعد، بل من قبل العلماء من كافة الاختصاصات سيما (المفكرين الاستراتيجيين) والمستندة إلى إحصائيات ومعلومات دقيقة وتستند لإمكانيات كافة عناصر القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والمعنوية.

وهي تعمل (أي الإستراتيجية) في اوقات السلم والحرب لأنها تبتغي تحقيق المصالح العليا للدولة والمجتمع، ويتوقف عليها إحراز الانتصارات في كافة مجالات الحياة العلمية والتربوية والخدمية والتنمية والصحية والعسكرية والحضارية.

وهناك مفهومان فرعيان يرتبطان بالإستراتيجية، وهما مصطلحان عسكريان ولكن ارتباطهما فنياً وهم:-

- **التكتيك**: وهو فن استخدام الاسلحة في المعركة للحصول على أكبر قدر ممكن من الفاعلية في حالة حصول حرب.

- **اللوجستك**: ويعني فن التنقل والحركة ونقل المعدات والأسلحة إلى ميدان المعركة وسرعة التنقل بأقل الخسائر وأقصر الأوقات، إضافة إلى الجوانب الإدارية في التموين والغذاء والطبابة. إن الإستراتيجية إضافة إلى ما تقدم هي وسيلة السياسة في الحرب مع عدم الاستغناء عن الدبلوماسية لأنها تستمر في اقامة وإبقاء الجسور مفتوحة مع الحلفاء والمحايدين ثم مع الاعداء أما بالتهديد أو باقتراح وجهات نظر جيدة من اجل سلم جديد.

الدبلوماسية والإستراتيجية:

إن الدبلوماسية هي فن وإدارة وتنظيم العلاقات بين الدول، كما يتفق الكثير من المتخصصين بأن ادارة وتنظيم العلاقات الخارجية للدولة أو الدولة تتم بناء على اعتبارات ومصالح كل دولة.

إن المعنيين بشؤون الدبلوماسية بأن تحقيق مصالح وأهداف كل دولة لا تتم إلا من خلال الدبلوماسية الناجحة، وأن أدوات هذه الدبلوماسية يفترض ان يتمتعوا (بالذكاء والفطنة والحكمة والكفاءة والصدق). وهذا يعني إن يولي اهتمام بالغ للدبلوماسية باعتبارها علم فن له قواعد وأصول، وأن من يمارسها يجب ان يتقن عمل وإدارة العلاقات العامة والدولية. فالدبلوماسية احد اهم وسائل السياسة الخارجية في اوقات السلم مع الاستغناء او استبعاد اللجوء الى السلاح اقله من حيث التهديد.

إذا فالدبلوماسية والإستراتيجية وجهان تتكامل بهما السياسة الخارجية بمخططاتها وأهدافها ومراجعتها^(١). ففي حالة السلم على الدول ان تتعايش، أي أن تقوم وتستمر علاقتها على الإقناع، وفي حالة الحرب تحاول كل دولة ان تفرض ارادتها على الآخرين، أي أن تقوم العلاقات على الإكراه، بعبارة أخرى فأن:-

أ- **الدبلوماسية:** هي فن الإقناع دون استعمال القوة.

ب- **الإستراتيجية:** هي فن الغلبة بأقل كلفة ممكنة.

وبالرغم من ذلك، فأن التمييز عملية نسبية لأن كلا المصطلحين وسيلة من وسائل السياسة وكثيراً ما توصف المعارك والحروب بأنها من اجل السلام، أو هي صورة من صور السياسة. وعليه، فأن وسائل السياسة لتحقيق اهدافها، بالإضافة الى ان الإستراتيجية تكمن في الدبلوماسية، السياسة الخارجية، والعلاقات الدولية، وسنوضح كل وسيلة من هذه الوسائل أو المفاهيم السياسية ذات الصلة الوثيقة بعلم السياسة وإستراتيجيتها. وذلك من خلال المبحث الثاني والذي يوضح العلاقة بين هذه المفاهيم بمضمون وإطار تكاملي أكاديمي.

المبحث الثاني

الإستراتيجية والعلاقات الدولية

أن كلا الموضوعين الإستراتيجية والعلاقات الدولية هما من وسائل السياسة العامة لأي دولة. وان الإستراتيجية تتحكم في العلاقات الدولية من خلال إستراتيجية العلاقات الدولية، والسياسة العامة تتحكم في الإستراتيجية من خلال خطتها العملية في وضع أسس العلاقات الدولية وتطبيقاتها في السياسة الخارجية.

وعليه لا يمكن اعتبار حقل العلاقات الدولية حقل قائم بذاته و السياسة الخارجية تبعاً لذلك وإنما هما مرتبطان بحقل آخر هو حقل (الإستراتيجية في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية) والذي يرتبط بدوره بالسياسة العامة للدولة. ولا نغالي إذا قلنا بان كلاهما ينتمون في الأصل إلى حقل معرفي رئيس وهو الفكر السياسي الذي يسود في هذه الدولة أو تلك. فالسياسة الأمريكية في أي عصر من العصور هي التي تضع الإستراتيجية الأمريكية، والإستراتيجية الأمريكية هي التي تضع وتنظم العلاقات الدولية وتنفيذ السياسة الخارجية بالأساليب الممكنة والمتاحة العلنية والسرية، الاقتصادية والعسكرية والمعاهدات والاتفاقيات وتستخدم أساليب الإقناع والإكراه والإغراء والتضليل لتحقيق أهداف السياسة العامة.

وعليه فان (السياسة العامة هو نشاط يجري داخل الهياكل والمؤسسات الحكومية انطلاقاً من أن الحياة السياسية في أي مجتمع تظل وثيقة الصلة بسلوك الأجهزة والسلطات الحكومية المتمثلة بالمؤسسات التنفيذية والتشريعية والقضائية وبالأحزاب السياسية. بل أن السياسة العامة لا تصدر إلا من خلال وجهات النظر الرسمية المخولة وكذلك الحال بالنسبة لتنفيذها)^(١٠). ومن ثم إضفاء طابع الشرعية والإلزام والعمومية عمل الأنشطة والأجهزة الحكومية داخل وخارج الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى.

أن السياسة العامة لها اهداف يصعب تحقيقها إلا من خلال وضع خطط وبرامج (خطط شاملة ومرحلية) و(وسائل تكاملية). ويمكن أن نسمي ذلك أهداف وسائلية بحيث تدمج الوسيلة مع الهدف للوصول إلى النتيجة، وغالباً ما توضع خطط للوصول إلى الهدف وهذا يدخل ضمن حقل الإستراتيجية الشاملة والمرحلة أو الإستراتيجية القومية والاستراتيجيات الفرعية والغاية الأساسية هو الوصول إلى الأهداف السامية التي تضيفها الدولة وتحدد هذه الأهداف بالاتي^(١١):

١. الهدف الكلي أو الهدف الشامل أو الهدف النهائي أو الهدف السامي وهو محور السياسة العامة.
 ٢. هدف بعيد الأمد والذي يراد تحقيقه من ١٠-٢٠ سنة.
 ٣. هدف متوسط الأمد والذي يراد تحقيقه ضمن خطة خمسية لا تتجاوز (٥) سنوات.
 ٤. هدف قصير الأمد والذي لا يتجاوز البعد الزمني له سنة واحدة.
 ٥. هدف يراد تحقيقه ضمن خطة زمنية شهرية أو أسبوعية أو يومية^(١٢). وهناك أنواع أخرى لأهداف وظيفية أو قطاعية أو متخصصة بحل الأزمات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية لا تتفصل عن الإستراتيجية الشاملة أو الفرعية وتؤدي وظائف للسياسة العامة. سواء على المستوى الداخلي للمجتمع السياسي أو على المستوى الخارجي في البيئة الدولية.
- أن المختصين في الدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية على وجه التخصيص والسياسة الخارجية بشكل ادق يحاولون تحديد نظريات سياسية عامة تلتقي مساراتها العملية بالأفكار والممارسات التالية في الجهد المبذول لنقد سياسي ومن ثم مذهب سياسي يستوعب تطلعات السياسة الدولية المعاصرة والراهنة لمساعي جديدة ونظريات وممارسة جديدة في التعاون الدولي ليحل محل الصراع والتنافس الدولي وربما ليرسم طريق مقبول في العلاقات الدولية القائمة على التعاون والمصالح المشتركة والمتبادلة بدل سياسة العدوان والغالب والمنتصر كونها لا تؤدي إلى استقرار وسلام عالي عادل طويل الأمد. وان نقاط الالتقاء لهذه السياسة تبرز في النماذج والنظريات والسلوكيات الآتية:
- أولاً:** المنهج العلمي التجريبي: ويمكن أن يسمى المنهج البراكمتي القائم على التجربة واكتشاف الخطأ من خلال الممارسة أو الملاحظة المرتبطة بالمنهج السلوكي.
- ثانياً:** عنصر التحليل: القائمة على النشاطات السياسية الدولية، الاقتصادية والثقافية ذات السمة الدولية، بالاعتماد على عنصر القوة أو القدرة أي القوة بكل عناصرها. كذلك اعتماد القوة الاجتماعية الوطنية كعنصر للتحليل وليس القوة المجردة.
- ثالثاً:** استخدام أدوات تحليل بحثية وذهنية لا تقوم على أساس شخصي أو حزبي أو اثني وإنما أدوات تحليل أكاديمية (علمية متجردة) من العواطف. كاستخدام علم الإحصاء الرياضي وغيره في الحكم على الأشياء ومقارنتها بقوى مقابلة أو مضادة، على أن تتبنى هذه النظريات العقلانية والاتزان بين مجموعة من القوة الفاعلة في المجال الدولي ورفض النسق

الدولي القائم على التناقض الذي يؤدي إلى الصراع وبصدام بين العناصر الدولية المؤثرة والفاعلة في السلام والامن الدولي وبالتالي السقوط في فوضى والحروب الدائمة. وعليه فان التوازن مطلوب بين النسق الدولي وحالة التوازن الدولي وبين أطراف الوحدات السياسية الحاملة لميزان القوة وهي تعبير عن وضع توزيع سلطة القوى في المجال الدولي (توزيع السلطة) بعيداً عن التناقض العقلي بحيث لا تستطيع دولة غزو الدولة أو الدول الأخرى بسبب هذا التوزيع للقوة والسلطة في المجال الدولي^(١٣).

أن ميزان القوى في العلاقات الدولية يرتبط بوقائع كثيرة من الواقع السياسي والفلسفة السياسية وكذلك الأيدلوجية والأيدلوجيات السائدة ومن ثم بالاستراتيجيات وصراع القوى لتحقيقها كذلك يرتبط بميزان القوى في مضمون وإطار ما هو كائن ولا نغالي إذا قلنا بأنه يرتبط نمط العلاقات الإنسانية التي تحلل علاقات عالم السياسة الدولي في إطار ما يجب أن يكون^(١٤). وهنا يصبح الفرق كبير بين ما هو كائن وما هو ما يجب أن يكون عليه، كالفرق بين الواقع وبين الحقيقة.

وعليه فان العلاقات الدولية التي تتبناها الدولة هي من أهم وسائل السياسة على المستوى الخارجي لتحقيق أهداف المجتمع السياسي، وإذا كان الأمر كذلك فما هو مفهوم العلاقات الدولية؟

لم يتفق الباحثون تعريف محدد للعلاقات الدولية ولكن خضع هذا لنسبة الزمان والمكان. فقد عرفها Jane Beyce بأنها ((علاقات الدول والشعوب فيما بينها))، وعرفها هانس مورجنتاو (بان العلاقات الدولية هو السياسة الدولية وان موضوع السياسة الدولية هو الصراع بين الدول المستقلة من اجل القوة)^(١٥).

وإذا كان الأمر كذلك أي أن موضوع العلاقات الدولية هو الصراع بين الدول المستقلة من اجل النفو والسلطان أو من اجل القوة، فان العلاقات الدولية ترتبط من هذا الباب بعناصر القوة أي العناصر الجيوبولتيكية ومن هنا جاء الربط بين الجيوبولتكك والإستراتيجية وتبعاً لذلك بينهما وبين العلاقات الدولية.

وفي اعتقادنا أن لهذا الخلط غير صحيح الذي وقع به استاذنا الفاضل كاظم هاشم نعمة الذي جاء به متأثراً بتعريف مورجنتاو، حيث إننا لا نعتقد بان موضوع العلاقات الدولية في مفهومه ومضمونه الأكاديمي ولا في أهدافه النهائية غايته الأساسية البحث عن القوة وتركيزها.

كما وان مفهوم الإستراتيجية سواء الشاملة أم الفرعية ليس ذو علاقة مباشرة بالجيوپولتيك، ولا العلاقات الدولية تأخذ صور القوة في أهدافها. وكما سنبين في أدناه:

الجيوپولتيك اصطلاح يجمع بين كلمتين هما (Geo) وتعني الأرض و (Politics) وتعني امراً يتعلق بالدولة وعلى وجه التخصيص سياستها ودلالاتها في الواقع تعني الجغرافية والدولة لهذا أن دراسة هذا العلم لا تخرج في طبيعتها عن دراسة تجمع بين الحقائق الجغرافية وعلم السياسة التطبيقي^(١٦) ولها علاقة بعناصر قوة الدولة ولكن ليس بالضرورة أن تكون لها علاقة قريبة جداً من الإستراتيجية بعبارة أخرى ليست ذا علاقة مباشرة بالعلاقات الدولية أو الإستراتيجية ولكن بشكل غير مباشر وعليه فان الحقل المعرفي يختلف في كل منهما. ويمكن ملاحظة ذلك بشكل دقيق من خلال توضيح مصطلحات الجيوپولتيك والجغرافية السياسية ومدى قربها أو بعدها من الإستراتيجية والعلاقات الدولية وفي العام الغالب بعلم السياسة ووسائلها.

المبحث الثالث

الإستراتيجية وعلم الجيوپولتيك و الجغرافية السياسية

إشارة مجلة معهد الجيوپولتيك في ميونخ عام ١٩٣٨ بان (علم علاقة الأرض بالعمليات السياسية وان موضوعه يقوم على قاعدة جغرافية عريضة ولا سيما الجغرافية السياسية التي تعني علم الكائنات السياسية في مكانها وبيئتها)^(١٧).

وهو الذي يعد وسائل العمل السياسية ويضع توجهات الحياة السياسية ككل فهو من العمل السياسي. وهو الضمير الجغرافي للدولة. وقبل أن نتطرق إلى الرد على هذا الرأي نود أن نكمل الفكرة التي تدعي التكامل بين هذه المفاهيم ونورد الفرق بين علم الجغرافية السياسية وعلم الجيوپولتيك.

فرغم وجود علاقة وثيقة بين علم الجغرافية السياسية وعلم الجيوپولتيك وهي علاقة تكامل في جانبها التطبيقي والنظري، وان الجغرافية السياسية هي الأصل الذي تفرع عنه الجيوپولتيك فان هناك بعض الاختلافات وكما يلي^(١٨):

١. أن الجغرافية السياسية تدرس كيان الدولة كما هو الواقع أما الجيوپولتيك فهو يرسم الخطط لما يجب أن تكون عليه الدولة.

٢. إن الجغرافية السياسية تهتم برسم صورة الدولة في الماضي بينما يهتم الجيوبولتيك برسم صورة الدولة في المستقبل.
٣. أن الجغرافية السياسية في عواملها اقرب إلى أن تكون ثابتة. في حين يتصف الجيوبولتيك بكون عوامله متطورة ومتحركة.
٤. أن الجغرافية السياسية مرآة للدولة تعكس صورتها الحقيقية في حين الجيوبولتيك جعل الجغرافية في خدمة الدولة.
٥. أن الجغرافية السياسية تدرس العلاقة بين الأرض والدولة والسياسة العالمية على أساس موضوعي فهي علم حكيم وحذر. في حين أن الجيوبولتيك يدرس تلك العلاقة في وجهه نظر قومية محلية ضيقة.
٦. أن الجغرافية السياسية تدرس مقومات القوة دراسة متجردة غير متأثرة بدوافع قومية معينة في حين أن الجيوبولتيك يعتنق فلسفة القوة ويرسم الخطط الإستراتيجية التي تحقق سياسة السيطرة.

وعند رجوعنا إلى موضوعنا الأساسي عن العلاقات الدولية وحقل الإستراتيجية نرى بان موضوع الجيوبولتيك هو حقل مستقل ولا نقل مفصول فصلاً تاماً عن السياسة ومن ثم عن وسائلها الأخرى كالإستراتيجية والعلاقات الدولية ونشاهد ذلك من خلال ما ذكره كارل دوتش من أن القضايا التي تعنى بها العلاقات الدولية تتضمن اثني عشر موضوعاً أساسياً وان هذه القضايا متداخلة فيما بينها وهي ((الأمة والعالم، والعمليات ما بين الأمم، والعلاقات المتبادلة فيما بينها، والحرب والسلام، والقوة والوهن، والسياسة الدولية والمجتمع الدولي، السكان في العالم ومسألة الغذاء والمواد الأولية، الرخاء والفقر، الحرية والاضطهاد، الإدراك الحسي والأوهام عند القادة، المواقف الايجابية واللامبالية عند الفئات، الثورة والاستقرار، الهوية الشخصية والجماعية والقومية والتحول^(١٩)).

من كل ماتقدم نرى بان العلاقات الدولية تقوم على دراسة وتكييف أفضل الحالات الايجابية بين الدول بغية تحقيق أفضل العلاقات وباستخدام المصالح والمنافع المتبادلة بغض النظر عن المبادئ والقيم المحلية، فالعلاقات الدولية تقوم على المصالح والمنافع المشتركة والمتبادلة ولكن تحقيق هذه المصالح يؤطر بالقوة والمنفعة والتي هي القاعدة الصحيحة في العلاقات الدولية، إلا أن هذه القوة ليست بالضرورة القوة المادية بل قوة العمل الدبلوماسي في الاقناع والتأثير أي باستخدام الوسائل السلمية (مصالح اقتصادية، إقناع، تأثير سايكولوجي،

وعود مغرية، خطط مستقبلية، مشاريع مشتركة، تسهيلات تجارية ٠٠٠ (الخ) إضافة إلى التهديد باستخدام القوة دون ممارستها.

ومن أجل الاستدلال على ما ذهبنا إليه اعرض ثلاث نظريات بارزة لمفكرين بارزين وهما النظرية الأمريكية لـ (مورغانثو) (Morkantho) والنظرية الفرنسية لـ (أرون) (Aron) في تحليل العلاقات الدولية والسياسة الخارجية الدولية والنظرية العالمية التي عبر عنها كارل دوتيش (Karlw Deutsch).

أولاً: نظرية هانز جي مورغانثو **Morkantho**:

في كتابه السياسة بين الأمم (Politics Among Nations) اعتبر بان حقل العلاقات الدولية فرع من علم السياسة. واعتبر بان القوة أساس العلاقات الدولية وعليها ترتكز سياسات الدول بين الغالب والمغلوب، بين المنتصر والمهزوم^(٢٠). وقد بين بان هناك نماذج ثلاث في السلوك الدولي وهي^(٢١):

١. سياسة المحافظة على الوضع الدولي القائم: منطلقاً من المفهوم التقليدي للقوة التي تستخدمها الوحدات السياسية للمحافظة على الذات ولا تبتغي التغيير في توزيع القوة في النسق الدولي السائد كونه يعارض مصلحتها الوطنية أو المصالح الوطنية للقوى الكبرى.

٢. السياسة التوسعية: وتستخدمها الدول الكبرى أو الدول التي لديها طموحات قد تكون قومية أو دينية أو هيمنة عالمية أو هيمنة إقليمية، وتحاول تحقيق أهدافها إعادة توزيع القوة في النسق الدولي السائد، بتغيير السلوك السياسي الخارجي للدول الأخرى سيما المؤثرة في السياسة الدولية أو بتحريك دول إقليمية أو محلية بالنيابة عن الدول الكبرى أو ربما استخدام دول أو أنظمة ما تسمى (بالدمى)، أو باستخدام أسلوب الحرب بالنيابة ولكن الدول التوسعية تستثمر الحروب بالنيابة للتوسع أو التدخل في شؤونها سواء بالأسلوب العسكري المباشر أو الاقتصادي غير المباشر.

٣. سياسة الحصول على المكانة الدولية: وهي سياسة واقعية تقوم بها دولة ما في المجتمع الدولي مستخدمة ما تملكه من إمكانيات حقيقية أو غير حقيقية بأشياء الدول الأخرى بان لها ذراع قوى في تدمير أو الانتقام إذا أرادت ذلك من الدولة أو الدول المنافسة لها. وهي استخدام الردع أو القلوع باستخدام الردع أو الرعب وهذا يعني أن تستخدم وسيلتين في آن واحد:

أ. الدبلوماسية الرسمية أو الأسلوب الدبلوماسي.

ب. التلويح باستخدام القوة أو الرعب.

وبالتالي تترك الخيار للدولة المقابلة وغالباً ما تقوم الدولة المستفيدة من استعراض لقواتها العسكرية وأسلحتها التدميرية بتمارين حية أو وهمية والإعلان عن ذلك بوسائل الإعلام المختلفة. وهذا الأسلوب يسير جنباً إلى جنب مع الجهود الدبلوماسية الرسمية المباشرة أو غير المباشرة وباستخدام علم النفس السياسي في كثير من الأحيان إذا كانت الدولة تريد أن تحصل على مكاسب بدون حرب، وكذلك تعرض نوع من المغريات للدولة الأخرى في حالة الانصياع لسياستها كإعطاء امتيازات تجارية^(٢٢) (الدولة الأولى بالرعاية التجارية) كما هي العلاقات الآن بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين) أو تسهيلات تجارية أو معرفية أو علاقات ثقافية وزمالات دراسية أو تبادل تجاري ذو منافع مناسبة أو استثمارات صناعية وزراعية.... الخ.

لقد أدرك مورغانثو بان مفهومي القوة والمصلحة الوطنية غير مستقرتين بعبارة أخرى هناك ثوابت ومتغيرات وان المتغيرات تأخذ حيزاً كبيراً في هذين المفردتين سيما في مفهوم القوة، وان الوجود القومي أو البقاء القومي والمصالح الوطنية هو هدف السياسات الخارجية للدول، وعليه فالمصالح الوطنية أعلى مرتبة من الأيديولوجيات المتغيرة وهي القاعدة الأكثر استدامة في العلاقات والسياسات الخارجية للدول.

في العصر الحديث أشار نيقولا ميكافلي عن العلاقة الوثيقة بين الوسائل السياسية وغير السياسية سواء العسكرية أم الاقتصادية وغيرها بالقول ((أم المساومة الناجحة تتطلب فهماً عميقاً لكيف يمكن استخدام القوة المسلحة كأداة للسياسة))^(٢٣).

لقد عبر أستاذنا الفاضل الدكتور فاضل زكي محمد أدق تعبير عن العلاقة بين الوسائل السياسية وبينها وبين الوسائل الأخرى حيث ذكر ما يلي:-

((أن القوة قد تستخدم بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وإذا كان معنى استخدام القوة المباشرة هو استخدام السلاح والدخول في الحرب فما معنى استخدامها غير المباشر؟ أن استخدام القوة بشكل غير مباشر معناه التهديد باستخدام القوة دون استخدامها فعلياً))^(٢٤).

وهذا يعني أن الصراع من أجل القوة لتحقيق المصالح يأخذ أكثر من شكل وهي شكل المعارضة المباشرة أو نموذج التنافس أو نموذج الدبلوماسية القائمة على قدرة الإقناع.

ثانياً: نظرية ريمون آرون:

في كتابه (الحرب والسلام) يقدم ريمون آرون صاحب مدرسة التحليل السياسي التجريبي والنظرة السلوكية^(٢٥) مفهومه العلمي للإستراتيجية رافضاً مفهوم القوة في العلاقات الدولية منطلقاً من أن عالم السياسة الدولي الذي لا يتجاهل وجود سلطة عليا في موزعة على الوحدات السياسية ومن يستطيع توظيف هذه السلطة العليا بسياسيات محكمة يحرز تحقيق الأهداف لدولته بغض النظر عن الحرب وقوة السلاح ويصف الدولة بانها تكوين الدبلوماسية والجندي. وان الحرب وسيلة من وسائل السياسة للوصول إلى السلام.

وقد طرح آرون ثلاثة نماذج لعلاقات القوى الدولية لتحقيق السلام وهي^(٢٦):

١. التوازن بين القوى القطبية من حيث توزيع القوة.
٢. سيطرة وهيمنة كل قوة قطبية على عدة وحدات سياسية.
٣. قيام إمبراطورية عالمية.

ثالثاً: نظرية كارل دوتيش:

نستطيع أن نجتهد ونسمي نظرية كارل دوتيش في كتابه (القوة والاتصال الاجتماعي) بالنظرية العالمية لسعة شمولها واعتمادها على معلومات مدنية خصبة وكذلك كونها نظرية تحليلية في عالم السياسة الدولية ولاحتوائها على الكثير من الأفكار المتعلقة بعلم النفس السياسي وتأثر الكثير من علماء الإستراتيجية بها. ومضمون النظرية كما جاءت في الكتاب السالف الذكر والكتاب الثاني (تحليل العلاقات الدولية) حيث إنهما يستعينان بتقنيات العملية الاتصالية وإعطاء أهمية لعمليات التكامل السياسي بين الدول والأمم. بعبارة أخرى استفاد من وسائل الاتصال الحديثة والمؤثرة ووصف العالم بالجزيرة الواحدة الكونية سواء على مستوى وسائل وأدوات الاتصال أو بالمصلحة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات ليحل محل التعاون الاجتماعي والإنساني الدولي محل الصراع والتصادم الاجتماعي والسياسي وافترض وجود تحكم ذاتي في جهاز اتخاذ القرار السياسي بغض النظر عن الجماعات الآتي نية الدولية، مركزاً على علاقات التكامل بدل علاقات الصراع. أما كيفية اختفاء هذه الصراعات وتدجينها ليحل التعاون الدولي محلها فيمكن أن تأخذ ثلاثة أشكال غير مؤثرة وهي:-

١. صور المناضرات وتطويرها ايجابياً (Debates).
٢. صور المباريات والتحكم بنتائجها (Game).

٣. مباريات قيمة الصفر (Zero sum Game) أو القيمة المحددة (Fixed sum Game).

أن عملية التحكم بالمناضرات وصور المباريات ونتائجها تتطلب بوجود لاعبين كبار على مستوى عالي من الفكر الاستراتيجي للحد من اللاعقلانية التي تعشعش في الهواة من اللاعبين بحيث لا يترك بغير المجتمعات الإنسانية إلا بأيدي وعقول النخب من ذوات الإحساس والفعل المؤثر في تغيير المواقف وصنع المستقبل المجتمع الإنساني الذي يفرض أن يحل فيه التعاون الدول محل الصراع والحروب.

الخاتمة

أن وسائل السياسة تبدأ بالإستراتيجية في حالة استخدامها بالمجتمعات السياسية (الدول). ومن ثم الوسائل الأخرى المخطط لها كالعلاقات الدولية والسياسة الخارجية والدبلوماسية، وكثيراً ما تتداخل هذه المفاهيم مع بعضها سيما موضوع الدبلوماسية الذي قد يرافق الإستراتيجية في تطبيقات العملية ولا يغالي إذا أمكن بان السياسة تتكامل فيها الوسائل الأنفة الذكر وذلك لكي نحصل في المحصلة النهائية على عناصر القوة المادية والمعنوية لتحقيق مصالح الدولة والمجتمع السياسي في كافة المجالات وفي السلم والحرب.

وتبقى الإستراتيجية كأحد أهم وسائل السياسة هي المخطط والمنظم للإعمال العظيمة في المجتمع السياسي (الدولة) وعليه فهي ليست ذا طابع عسكري وإنما ذو طابع مدني حتى وان خضعت لها الأعمال العسكرية وذلك انطلاقاً من أن هناك استراتيجيات فرعية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وإعلامية وثقافية ... الخ.

وليس من الحكمة أن تفهم الإستراتيجية بشكل حشوه وتؤخذ على أنها تدخل ضمن أطار الجيوبولتيك فقط، نعم هناك مقومات (جيوبولتيكية) تؤثر في الإستراتيجية الشاملة ولكن ليس الإستراتيجية هي الجيوبولتيك.

كما أن النظريات العالمية للقوة وفق مفهوم الجيوبولتيك كما يؤكد بها بعض اساتذنا مثل الدكتور كاظم هاشم النعمة^(٢٨)، والدكتور هادي احمد مخلف وغيرهم والتي يركزون فيها مضمون هذه النظريات كأساس للإستراتيجية الناجحة وينظرون لها في تدريس مادة الإستراتيجية وكذلك في اعتبارها الحقيقة المطلقة لبناء الإستراتيجية تجافي حقيقة الإستراتيجية المعاصرة والراهنة، إلا أن هذه النظريات التي يذكرونها ويعتبرونها كأساس للإستراتيجية وهي:

Vital Space Theory

أ. نظرية المجال الحيوي الطبيعي

ب. نظرية الحواف والقوة البحرية

The rim land theory and power sea air theory

The hear and theory

ج . نظرية الأرض القلب

Air power theory

د. نظرية القوة الجوية

لقد اعتبرت هذه النظرات ضمن الدراسات الإستراتيجية وأصبحت منهجية على الدراسات الأكاديمية الراهنة بينما الحقيقة أن هذه الدراسات قد اضحت مختلفة عن المفاهيم والدراسات الإستراتيجية الراهنة وذلك للتقدم الذي حصل في تكنولوجيا التسليح وعلم السياسة ووسائلها الراهنة^(٢٧).

وكذلك التطور الذي حصل في الفكر السياسي لعالم العولمة، ولا نتبعد عن الحقيقة إذا قلنا لعالم ما بعد العولمة.

لقد تعددت حقول المعرفة في العالم اليوم، وبن من غير الممكن الاعتماد على حقل واحد بدون ربطه بحقول المعرفة الأخرى. وأضحى عالم السياسة اليوم رغم التخصصات الدقيقة له، يؤكد على أن كل حقل من حقوله يضيف على المعرفة بشكل عالم والمعرفة السياسية بشكل خاص ادباً سياسياً وفقهياً له ما يبره في وضع الخطط المنهجية والدقيقة لإنجاح أي عمل كبير، حيث أن العمل السياسي والذي له مساس بالمصلحة الوطنية أو القومية أو على مستوى الدولة والمجتمع السياسي لقياس بالنتائج وليس بالنوايا وان تقيمه على ضوء النتائج ايضاً. وهذا يعني أن المداخل الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة وصائبة.

لقد تم التأكيد في مضمون هذا البحث على أن وسائل السياسة محكومة بنتائجها العملية وهي الإستراتيجية والدبلوماسية والعلاقات الدولية والسياسة الخارجية وصيغ الترابط والانسجام بينهما لكي تؤدي نتائج صائبة.

أما أهم النتائج التي يمكن أن نستخلصها فهي:-

١. أن وسائل السياسة تعمل بشكل متكامل وليس على انفراد.
٢. أن العمل السياسي يقاس بالنتائج وليس بالنوايا.
٣. أن معيار النجاح للإستراتيجية بالإضافة إلى النتائج إحكام السيطرة على الجوانب العلمية والقدرات العامة للدولة والمجتمع والابتعاد عن النمط التقديري بل الحسابات الدقيقة لكل حقل من حقول المعرفة واتساع المنهج الإحصائي بالإضافة إلى التحليلي.
٤. السياسة العامة والفكر السياسي السائد هو الذي بوجه ويضع الإستراتيجية وليس العكس.
٥. الإستراتيجية تعمل بالسلم والحرب جنباً إلى جنب مع حقول المعرفة الأخرى سيما الدبلوماسية الهادئة سواء على النطاق الدولي أو الإقليمي أو حتى الداخلي.

أما التوصيات فهي:

١. يوصي البحث بان يكون العاملين في صنع القرار السياسي بشكل عام والقرار الخارجي بشكل خاص من ذوي الخبرة والاختصاص ولديهم تراكم خبرة بحكم العمر والاختصاص، بعبارة أخرى في (سن النضج والحكمة والتعقل).
٢. أن الإستراتيجية تساهم في صنعها وتوجيهها وتنفيذها القيادات وليس القواعد على أن تكون الفقرة (١) المساهمون الرئيسيون فيها من الأكاديميون حملة الشهادات العليا من جميع الاختصاصات كي نبتعد عن العواطف والميول والاتجاهات الحزبية والفئوية، ونأخذ بنظر الاعتبار الناحية العلمية المجردة عن القنوات الضيقة.
٣. يوصي البحث بان يكون العاملين في تنفيذ السياسة العامة ومن ثم الإستراتيجية الشاملة، وكذلك العاملين في المفاصل الدولة والمجتمع والذين يتبوئون المناصب الإدارية العليا وكذلك السلك الدبلوماسي والإدارات المدنية والعسكرية والأمنية من المهنيين وأصحاب الكفاءة والخبرة ومؤهلاتهم العلمية عالية لتجنب الدولة والمجتمع الانكسارات والفشل من جراء عدم تطبيق مبدأ الشخص المناسب في المكان المناسب وبالتالي الفشل في التحول نحو المجتمع المدني المنشود.

الهوامش والمصادر

- (١) الانسكلوبيديا السياسية، نقلا عن د. محمد محمود ربيع، النظرية السياسية موسوعة العلوم السياسية، الكويت، جامعة الكويت ١٩٩٤، ص ١٠٤ وما بعدها.
- (٢) د. قحطان سليمان الحمداني، النظرية السياسية المعاصرة، دار حامد للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠٠٣، ص ١٧.
- (٣) أ.د. حسن صعب، علم السياسة، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٧، ص ٤٩.
- (٤) للمزيد من التفصيل انظر: احمد عطية الله، القاموس السياسي، ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٥٤-٥٥.
- (٥) للمزيد من التفصيل انظر: أ.د. أمين هويدي، أحاديث في الاستراتيجي، رسائل الثقافة الحربية، ع ٢١، القاهرة (٧٥)، ص ٨-١١.
- (٦) للمزيد من التفصيل انظر وقارن مع: ادوارد ميدك آخرون، رواد الإستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبد الفتاح، بلا، ١٩٦١، ص ٤٥٦ وما بعدها.
- (٧) للمزيد من التفصيل انظر: أ.د. فاضل زكي محمد، السياسة من وراء الإستراتيجية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٦، ص ٧٠ وما بعدها.
- (٨) د. كاظم هاشم نعمة، الرجز في الإستراتيجية، شركة ايااد للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٨، ص ٥٦-٩٤.
- (٩) للمزيد من التفصيل انظر: د. فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في عالم متغير، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص ٢٨-٢٩.
- (١٠) د. وصال نجيب الفرادي، السياسة العامة (دراسة في حقل معرفي جديد)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٢.
- (١١) نفس المصدر، ص ٢٣.
- (١٢) انظر د. محمد علي عبد الوهاب، الإدارة والأهداف، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٢٤.
- (١٣) للمزيد من التفصيل انظر: محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص ٤٦ وما بعدها.
- (١٤) د. عادل فتحي ثابت، النظرية السياسية المعاصرة، دراسة في النماذج والنظريات، الإسكندرية، الدار الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٢٧٩ وما بعدها.
- (١٥) د. كاظم هاشم النعمة، العلاقات الدولية، شركة ايااد للطباعة، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٤.
- (١٦) انظر وقارن بين قولنا وما جاء به: د. هادي احمد مخلف، عالم الجغرافية السياسية والجيوبولتيك، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٦.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ١٦.

- (١٨) د. هادي احمد مخلف، مصدر سبق ذكره، ص١٧. أمين محمود عبدالله، في أصول الجغرافية السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٥ وما بعدها.
- (19) Karle Deutssch, The Anatyis of Internetal Relations, Prentice Hall, INC, Enplewood Cliffs, 2nd ed, 1978, pp.1-13.
- (٢٠) انظر: هانزجي مورغانثو، السياسة بين الأمم، ج٢، ترجمة خيرى حماد، ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص٩٥.
- (٢١) د. قحطان احمد سليمان، مصدر سابق، ص١٨٣.
- (٢٢) للمزيد من التفصيل انظر: د. ضرغام عبدالله الدباغ، قوة العمل الدبلوماسي في السياسة الخارجية، دار آفاق للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٢ وما بعدها.
- (23) Pual Gordon Lardon Lavern, Diplamcacy, The free Press, New York, 1979, p. 183.
- (٢٤) د. فاضل زكي محمد، السياسة من وراء الإستراتيجية، مصدر سابق، ص٥٠-٥١.
- (25) Remon Aron, Peace and War, Translated by Haward, R, and Rox A.B. Doubleday and Company, INC, New York, p.43.
- (٢٤) د. قحطان احمد سليمان، مصدر سابق، ص١٩١.
- (٢٥) د. فهمي عبد القادر محمد، واقع تدريس مادة الإستراتيجية في كلية العلوم السياسية (أراء ومقترحات)، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي القطري للعلوم السياسية، جامعة بغداد للفترة من ١٩-٢٠/٤/٢٠٠٠.